

# العقلية العربية في الجاهلية

العرب في التاريخ

نظرية الديانين . نظرية الشعويين . مناقشة هاتين النظريتين .

مرحط الوحي

طريق الهند . موقف الروم من الحجاز . سكان مكة . السلطة في مكة . القوة التنفيذية . ثروات مكة . متاجر مكة . الصرافون والدين . نظام القافلة وبضائعها . تجارة القوافل . مصيف القرشين .

العبادة الجاهلية

اليهود في الحجاز . النصارى في الحجاز . اسباب ظهور الوثنية : الروايات الثلاث . اشهر الانصاب والاصنام الجاهلية : مناة ، اللات ، العزى ، هبل ، سعد . الشعائر الدينية . الجن . الفكرة اللاهوتية .

المعارف الاولى

الطب الجاهلي . الانواء . الزجر .

## العرب في التاريخ

كاد زعماء التاريخ الاسلامي يُجمعون على ان العربي الذي خرج ابان الفتح الى مملكتي الاكادسة والقياصرة كان حظه من العلم قليلاً ، ونصيبه من الرقي هزيباً ، وقسطه من الدراية السياسية نادراً . وكيف تكون حاله غير هذه ، وقد صوروه في جاهليته يتخذ الضب له مأكلأ والماء الآسن مشرباً ، والخيمة المتداعية منزلاً ، ويثد بُنيآته خوفاً من العار ، وينزو جاره تداركاً للفقر .

ثم ابرزوه فجأة في زيه الاسلامي وقد بسط نفوذه من السند شرقاً الى المحيط الاطلسي غرباً ، وكثرت بين يديه نعم التمدن القديم ، من ارفع ما توصلت اليه رفاهية الفرس الى ارقى ما أنتجه الفكر اليوناني الروماني الحبيب . وتحولت حياته الحشنة الجافة من عبوس العيش ، وهموم الغد ، وخوف الذل ، وعري البوس ، وجهل الوثنية الى نط لا يمت الى الامس بصلة . فآؤه فائض نير ، يجري الي بركه الرخامية ، ومسكنه صروح الامراء

من فارس وقصور القواد من بيزنطية ، وزوجه الهزيلة العجفاء  
تهدل جسمها من السيئة ، واصبحت سيدة عظيمة تخدمها بنات  
المرازبة وغواني الروم ، واولاده يتخمون من كثرة ما يطعمون ،  
غير قهون عن معادهم بركوب الجياد ورمي النبال والرماح ،  
كأن الله قد اختاره ليكون المخلوق الاسعد والارفع والانعم  
سعادة في الارض ، وجنة في السماء .

يعود ذلك الى ان الذين عُنوا بتدوين الحُقة العربية من  
التمدن الانساني ، هم : اما مغالون في عقيدتهم الدينية ، يودون حصر  
الفضل في الرسالة وحدها ، او شعوبيون يبينون ان لا فضل  
لهذا العربي في حضارته ، وانما هم الذين حلوها بكل ما تخر به  
من رفعة وسمو ، وان طباعه الجافية ، وحياته المضطربة لا تمكنه  
من ان يأنس بالحضر ، او ان يطمئن الى الزراعة والتجارة  
والعلم . وكل هذه من مبادئ العمران ومقوماته . اما الحقيقة  
التاريخية التي يستشفها الدارس الحديث ، فايست توافق هاتين  
النظريتين المفرقتين ، اما في محافظة دينية او في شعوبية .

فهمؤلا لم ينظروا الا الى المتبدّي الذي

نظرية الديانين

لوّحته شمس الصحاري ، واستنفدت

مطالب العيش كل قواه وفكره ، فكاد إفقه ينحصر في مراعي

ماشيته . ولم يتعرفوا الى المدنيات التي برزت في شبه الجزيرة منذ اقدم العصور التاريخية الى ما قبل الاسلام ، ولم يحاولوا ان يتبينوا فيها البذور الطبيعية للفتوح التي رافقت الدعوة .

والواقع ان الموجة الاسلامية التي تدافعت على فارس ، وغمرت شواطئ البحر الابيض ، لم تكن سوى الموجة الاخيرة لموجات سابقة متتابة متلاحقة ، تنبعث من الجزيرة العربية وتندفع غرباً وشمالاً وشرقاً . فلم يذكرنا الا باقتضاب سكان اليمن ، وهم اهل مدن ومحافظ وهياكل واثاث ورياش ، لبسوا الخبز ، واقتروشوا الحرير ، واقتنوا آنية الذهب والفضة ، وغرسوا الحدائق والبساتين . وتجاهلوا الانباط ، وقد كانوا حلقة الاتصال بين تدمير وغزة وخليج فارس والبحر الاحمر واليمن . واتسعت ممالكهم حتى شملت جزيرة سيناء وهوران . وجعلوا من « سلع » قصبتهم مدينة عامرة ، تزخر بالابنية الفنية التي لا تزال تطالعنا بروعتها الى الوقت الحاضر . ومثلوا قبل الاسلام بخمسة قرون اناقة الهندسة اليونانية في تلك البقعة العربية . واهملوا التدميرين والمحاولة الجريئة التي قامت بها زنوبية ملكة الصحراء في بسط نفوذها على مصر وآسية الصغرى . والقضاء على النفوذ الروماني في سبيل تأسيس مملكة عربية تقوم على الثقافة اليونانية من حقوق وادب وفلسفة وفن ، قبل الاسلام بما يقارب ثلاثة قرون ، كما انهم لم

يعنوا الا عناية ضئيلة بالمناذرة والغساسنة<sup>١</sup> . مع ان هذه القوى الحية التي ظهرت على تخوم الامبراطوريتين الفارسية والبيزنطية ومملكة الاحباش ، كانت بحاجة الى قوة جامعة موحدة وروح عامة توفق بينها وتسيرها الى غاية معينة ، فكان الاسلام .

اما هؤلاء ، فان موقف الباحث منهم هو  
**نظريّة الشعوبيين**  
 اشد دقة ، واكثر تعقيداً . وذلك لانهم

يستشهدون على صحة بَيّنتهم ، عدا الحجة السابقة التي اظهرنا بعدها عن الواقع التاريخي ، بادلة وبراهين لها وزنها واهميتها . منها انهم هم الذين نظموا تلك الامبراطورية ، وان المجوس والسرّيان والاقباط ساعدوا بحسابهم ودواوينهم على ابقاء تلك القوة الجامعة والاستفادة منها ، واستخراج ثمرها . ولولا هؤلاء ، لاندفعت اندفاعاً عنيفاً ، حتى اذا ذهب ما فيها من تمدد ذاتي ، وانسباح شخصي ، واتحمتها ارزاق المغلوبين ، تقلصت وعادت الى مكمنها تقضم في امن الصحراء ما وهبتها اياه نعم الحضارة

---

١ لا بد من الملاحظة ان هذه الاقوام وان اختلطت بالاحباش والفرس واليهود والآراميين وسواهم من الشعوب ، كان العنصر العربي فيها هو الاغلب والاقوى . وقد بالغ المؤرخون ، ولاسيما العرب ، في اهمالهم . ولعل في العناية بتاريخهم جلاء لصفحات لا تزال غامضة في تاريخ الحضارة عامة وتاريخ العرب خاصة .

القديمة . ومنها انه اذا كان للعرب من فضل على العالم فان هذا الفضل يعود في اغلبه الى الناحية الفكرية ، والنمو العلمي ، والآثار المدونة من شعر وتاريخ وجغرافية ، الى ابحاث وارصاد وصفحات خالدة في الفلسفة والاجتماع . وان نظرة تلقى عليها وعلى تاريخ المشهورين من النوابغ في هذه الابواب ، تكفي لتبين ان حظ الدخيل على الاسلام من غير العرب كان اوفر من حظ العربي الاصيل ، وان معظمهم كان من الفرس او الروم او السريان امثال ابي نواس وابن الرومي في الشعر ، وعبد الحميد الكاتب وابن المقفع في النثر ، وامثال ابي حنيفة النعمان في الفقه ، والفارابي وابن سينا والبيروني والغزالي في الفلسفة والعلم . هذا اذا ضربنا صفحاً عن البناء المعجب الذي نثرته تلك الحضارة في الرقعة الاسلامية كأبذية البصرة والكوفة ودمشق وبغداد والفسطاط .

والواقع ان فضل الاجانب في ذلك العمران كبير وعلمهم عظيم ، وان لم يكن مسيطراً على جميع مظاهر النشاط الحضري . وان تلك الواحات الحضرية التي انتشرت في شبه الجزيرة قبل الاسلام ، كانت آتخذ وافية بشروط حياة عادية ، نفوذها محدود ، وغايتها محصورة ، ولكنها غير كافية للمطابقة الجديدة التي تضم جزءاً هاماً من العالم القديم . فوجب تدوين اللغة وتعليمها للدخلاء .

والإحاطة بالعلوم الدينية ، ووضع فقه ينظم التعاقد والتعامل والرق والعق ، وإحياء الآداب والفنون ، وتشجيع الصناعات والمهن . فاستعان العرب بأصحاب الحضارات في البلاد المفتوحة لوضع الأسس التي ينبغي أن تقوم عليها المدنية الجديدة . وكان من الطبيعي أن يقوم الموالي بالدور الأهم فيها لانصراف أكثرية العرب إلى أقرار الفتوح ، ومواصلة الجهاد ، وحكم الولايات .

فكان تجلي الرفعة في العقلية العربية كان في ترقب الاستقرار المطمئن ، والغد المستكين ، والعيش المؤمن ، والنفوذ المبسوط ، كما أن اشراق الفكرة الغربية في عهد الاغريق ، و « المستغرقين » ، لم يتم إلا في ظلال المدن المستقلة . ولم تأت هذه الفكرة باطيب ثمارها على شواطئ البحر المتوسط إلا بعد أن تقدمتها جحافل الاسكندر إلى الفرائيق وأربل . وكان العدد الأكبر من الذين تجندوا لها من المصريين والسوريين وسكان آسية الصغرى .

عندما ضعف شأن العرب ، وغمرتهم الموجات الغربية التي انضمت إلى الاسلام ، وركدت الروح العسكرية في صدورهم ، ولاسيما في المغرب والاندلس بعد قيام دولتي المرابطين والموحدين ، وانتقلت الزعامة الحربية إلى البربر ، حول العرب جهودهم إلى الفكر ، فسيطروا هناك وجاؤوا بالآداب الرفيع ، والفن الأنيق ، والفلسفة المبدعة . وكاد يقتصر النبوغ العقلي

عليهم وخدمهم . واذا بالاستقراطية العسكرية في المشرق  
تتحول الى استقراطية علمية في المغرب واسبانية ، على حدود  
النهضة الاوروبية الحديثة .

## مهبط الوحي

لمبين الهند . كانت فارس تسيطر في عهد الامبراطور  
يوستنيانوس ( ٥٢٧م - ٥٦٥م ) على طرق  
المواصلات بين الغرب وقاب آسية . فاخذت بيزنطية تتصل  
بالاقوام المجاورة لفارس ، وتتجه نحو البحر الاسود أو شبه  
جزيرة القرم ، معتمدة على بلاد ارمينية ، محاولة فك النطاق  
الحديدي الذي اقامته فارس حول الامبراطورية للاتصال  
باسواق الحرير والافاويه . وكذلك سعت جهدها للتقرب من  
المناذرة والغساسنة على حدود مقاطعتها الشامية الفاصلة بينها  
وبين فارس وشبه جزيرة العرب ، وللتقرب من الدولة

\* اعتمدنا في كتابة قسم من هذا الفصل على الباحث القبة التي عقدها  
المستشرق الاب لامنس اليسوعي ولاسيا كته :

La Mecque à la veille de l'Hégire. — La cité de Taïf à la veille  
de l'Hégire. — L'Arabie Occidentale avant l'Hégire.

واعتمدنا على مراجع اخرى اشرنا اليها في اماكنها .



الأكسومية الحبشية ، لعلها بهذا تفتح امام سفنها ابواب البحر الأحمر .

كان القسم الاوفر من تجارة الهند ينزل خليج العجم ، ومن هناك يسير محاذياً الفرات ليصل الى شمال الديار الشامية . وهو الطريق الافضل والاقرّب . غير ان كثرة الضرائب والحروب المستمرة جعلت منه الطريق الاصعب والاوعر . لذلك اتجهت المتاجر في طريق جنوبي يخترق الصحراء ، يصل الخليج العجمي او المحيط الهندي بالبحر الابيض المتوسط . وهذا ما كان سبباً في ازدهار مدينة تدمر ، وتألب البدو الاذكياء ، حول منبعها كما تألب القرشيون حول بئر زمزم من بعد . فقيام المدن وازدهارها ثم ركود ريجها ، وضعف شأنها يعود في اغلب الاحيان الى تحول الطرق من مكان الى آخر . ولقد نعمت مكة والطائف في اواخر القرن السادس بحالة تجارية تحسدان عليها ، سببها الحروب الدائمة الناشبة بين فارس والروم .

من الثابت ان مركز الجزيرة العربية التجاري وموقعها بين

### موقف الروم من المبحر

ثلاث قارات ، كانا السبب الرئيسي للحروب الدامية التي نشبت قبيل الاسلام بين الاحباش والفرس وبيزنطية .

يظهر مما كتبه الرواة ان قصياً جد القرشيين نشأ في بني

عُدرة . ولعل هؤلاء ، وهم من القبائل الشامية المسيحية ، قد ساعدوه في فتح مكة . وكانوا أشداء عرف الفساسة من بطشهم الشيء الكثير . ويذكر ابن قتيبة ان قيصر الروم اعانه على خزاعة . ولكن ما هو مدى هذه المساعدة ؟ وما هو نوعها ؟ أهالية كانت ام جنداً ، ام سلاحاً ، ام تدخلًا سياسياً ؟ أكثر الرواة من ذكر كلمة قيصر . ولعلنا نصيب الحقيقة اذا جعلنا مكان قيصر اسم زعيم غساني . فبنو جفنة كانوا عمالاً للروم ، يتدخلون في شؤون نجد والحجاز ، معتقدين ان القسم الشمالي من الحجاز خاضع لنفوذهم . وهكذا كان يعتقد اللخميون في الطرق الشرقية من شبه الجزيرة في تصريف شؤون بكر وقيم وحنيفة . ووصلت كتابت الجفنيين الى بلاد سليم في جوار مكة . فليس هناك اذاً ما يحيل الافتراض القائل بانهم

١ نشأ قصي في ارض بني عُدرة . انتقل اليها مع امه وهو في سن الفطيم . وعندما شب عاد الى قومه في مكة . وهناك تزوج من حي ابنة حليل الخزاعي السادن ووارثة مفتاح البيت . وابت خزاعة ان تبقي المفتاح معه بعد وفاة حليل . فارسل قصي الى اخيه لأمه رزاح من ربيعة ، وهو ببلاد قومه من قضاة ، يدعوه الى نصرته ويعلمه بخبره مع خزاعة ، فسار اليه اخوه بجماعة من قومه ونصره ( راجع الازرقعي ، تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ٥٧ - ٥٨ ) .

اعانوا قضياً في فتح مكة واتصاء الخزاعين عنها .

وهناك حادثة اخرى اقرب اليها واكثر وضوحاً ، وهي حادثة

عثمان بن الحويرث من الحنفاء . اعتنق عثمان هذه المسيحية في مكة قبل مغادرتها ، وكان من اطرف قريش واعقلها يحلم بان يصبح ملكاً عليها او صاحب كلمة نافذة . فاتصل بقيصر ، وكان المسيحيون يعتبرونه حامياً لهم ، بل لعله اتصل بعالمهم في الشام واطهر لهم ما يمكن ان تجنيه بيزنطية من الارباح باحتلالها الحجاز ، وسيطرتها على طرق القوافل ، فلا ترغم على دفع الضرائب للاعراب في سبيل السماح لها بالمرور . غادر سورية ، ومعه شيء من المال والهدايا والرسائل الى اهل القوة من الملأ تعلمهم ان عثمان هو رسول قيصر . وعند وصوله بدأت المحادثات ، فبين لهم ان بيزنطية لا تطلب منهم الا هدايا سنوية تقدم لقيصر مقابل السماح لهم بالتجارة الحرة ، واذا لم يرضوا بذلك فقد تعتمد بيزنطية الى القوة . غير ان مهمة عثمان لم تنجح ، فقد مات مسموماً ، وجاءت حروب الروم والفرس فحالت بين البيزنطيين والانتقام لعثمان .

يظهر ان القرشيين رأسوا في مكة قبل

سكان مكة

الرسالة بمائة سنة . واشهر بيوتاتهم ، هاشم ،

وامية ، ونوفل ، وعبد الدار ، واسد ، وتيم ، ونخزوم ،

وعدي ، وجميع ، وسهم ، تنزل البطحاء حيث بئر زمزم والكعبة  
 واطلق على مجموعها اسم « قريش البطاح » لان هذه المنطقة تعتبر  
 منزلاً للاشراف . واما الاسر الباقية فتنزل في الشعاب ، وتُسمى  
 « قريش الظواهر » . ويبدو ان قريشاً اختلطت بالاقوام الغريبة  
 من الخلاء والعبدان والصعاليك والاجانب من اقباط واحايش .  
 يقوم بادارة شؤون الجمهورية التجارية جماعة

### السلطة في مكة

من رجال الاعمال صيارفة وتجاراً . ولعل  
 انساناً لم يتوصل قط الى ما توصل اليه في مكة من تحقيق المثل  
 الاعلى الديموقراطي : التمتع باكبر عدد ممكن من الحريات  
 الفردية في ظل حكومة بسيطة قليلة الدوائر والموظفين . ومما لا  
 شك فيه ان هذه الحكومة الشعبية التجارية يرجع تاريخها الرسمي  
 الى عام ٥٩١ ميلادية عندما عقد « حلف الفضول » في بيت عبد الله  
 ابن جدعان ، حيث اجتمع بنو هاشم ، وبنو المطلب ، وبنو  
 اسد بن عبد العزى ، وبنو زهرة ، فتعاهدوا وتعاقدوا على ان لا  
 يحدوا بمكة مظلوماً من اهلها ، او غيرهم ممن دخلها من سائر الناس  
 الا قاموا معه ، وكانوا على من ظلمه ، حتى تُرد عليه مظلمته .  
 وقد حضر النبي على ما تذكر كتب السير هذا الحلف مع عمومته '

وكانت الحكومة التي نشأت عن حلف الفضول تضم دوائر تختص كل واحدة منها بناحية من العمل ، منها دائرة لحفظ المخطوطات ولاسيما التجارية ، واخرى لفرض الضرائب على التجار الاجانب ، وتضم الى جانب هذا اعمالاً ستة ، فيها الذكر والشرف والعز ، وهي السدانة والحجابة ودار الندوة<sup>١</sup> ، واللواء ، والرفادة<sup>٢</sup> ، والقيادة ، والسقاية<sup>٣</sup> . وكان المكويون يستخدمون النادي الذي يطوف في اسواق البطحاء ، ينادي بامر من الامور ، او يدعو الناس الى اجتماع او وليمة يقيمها احد الاسياد كابن جعدان مثلاً ، او يبين للناس

المقرزي : امتاع الاسماع ، ج ١ ص ١١ ، طبعة ١٩٤١ ، طبقات ابن سعد ج ١ ص ٨٢ .

١ دار الندوة كانت قريش تقضي فيها امورها . ولم يكن يدخلها من غير ولد قصي الا ابن اربعين فما فوق للمشورة . ويدخلها ولد قصي اجمعون وحلفاؤهم ( راجع الازرقى ج ١ ص ٦١ ) . وهي كناية عن مشيخة تقرر فيها الامور الحاسمة التي تتعلق بمستقبل الجمهورية ومصيرها . وبما لا شك فيه انه كان لها رئيس ، ذو سلطة نافذة تشبه سلطه رؤساء الجمهوريات في العصور الحديثة .  
٢ تخرج قريش اموالها في كل موسم ، فيضع بها المكلف<sup>٤</sup> بالرفادة طعاماً للحاج ، فيأكل منه من لم يكن معه سعة ولا زاد . ( راجع الازرقى ج ١ ص ٦٢ ) .

٣ لقريش حياض من ادم توضع بفناء الكعبة ، فينلأها المكلف بالسقاية ماء من الآبار ، ويسقيه الحاج .

ان فلاناً قد خلعتة قبيلته . واحاطت فيها بعد جماعة من اللنادين  
بالنبي في المدينة اشهرهم بلال ، فكان يستخدمهم في جميع الامور  
ولاسيما في الدعوة الى الصلاة . ولعل الوظائف الاخرى كاللقبة  
والاعنة والازلام والسفارة والاشناق لم تكن من الوظائف الرفيعة  
والثما جعلها الرواة كذلك بعد الاسلام لرفع مقام قريش واكساب  
بعض اهلها شرفاً لم يكن لهم في الجاهلية .

كانت السلطة التشريعية ، اذا صح التعبير ، في يد الملاء اي  
الاشراف ورؤساء الاسر واهل القوة واصحاب الاموال . يجتمع  
هؤلاء في دار الندوة حيث تتمثل قوة قريش في حالة  
اعلان حرب او تشاور او عقد زواج او عقد اتفاق تجاري عام ،  
او تنظيم القافلة العامة . وتتعقد الاجتماعات العادية في الاندية  
او المجالس ، وهناك يُقرر حق الجوار او الخلع .

كان لمكة مركز تجاري كبير ، ومقام  
ديني خطير ، دفعا اليها الخُلماء والفتاك

### القوة التنفيذية

والشذاذ والمتشيطنة والصعاليك والذؤبان ، وهم جماعة خلعتهم  
قبائلهم ، يفدون على اسواق مكة يبيعون فيها ما يكسبونه في  
غزواتهم . لذلك حاولت قريش ان تستخدم قوة هؤلاء في حفظ  
القوافل ، وفي ساحات الحرب . فكان لكل فئة من اسياء مكة  
جماعة من هؤلاء الشذاذ ، فيأتي العربي الحرم فيستأجر الصعاليك .

ويسمى القرشيون في توسيع منطقة الحرم لحفظ اموالهم وبضائعهم من السرقة . وكانت قبيلة غفار تمثل تلك الطبقة من الشذاذ للذين يحتالون على الحياة بمختلف الطرق . وكذلك قبيلة أسلم في مرتفعات تهامة . فدرجت قريش على ان تختار من هاتين القبيلتين ضباطاً لمسيرها المأجور المعروف بالاحايش ، ليؤلفوا اركان الجيش .

وكان في معركة أحد مع قريش احايش ، منهم قاتل حمزة عم النبي . وكان للاحايش رئيس عربي يدعى « سيد الاحايش » يقوم بالقيادة العليا . وتنتقل السيادة من واحد الى آخر دوليك . فلا تطول مدة السيد في منصبه لخوف القرشيين من استبداد السادة . وكان لهم راية خاصة ، واتفاقات مع الملكيين ، يذكرون فيها شروط العمل والمعاونة ، ومدة خدمتهم العسكرية وامتيازاتهم ، وما يتناولون من الاجر . فكاننا بمكة اصبحت ثالثة قرطاجنة والبندقية . اما الملاك فيتألف من سادة ورؤساء وعرفاء ، كلهم من العرب ولهم وجدهم الحق بالاسلاب ، وللعبيد اجر معين ، واحياناً يوعدون بالحرية . ولم يكن من نظام عسكري بشكائنه ومعسكراته وكتائبه الدائمة ، فالخدمة المأجورة لمدة الحرب ، واحياناً لمدة غزوة واحدة ، حتى اذا انتهت المعركة 'صرف الجيش ، فأرسل البدو الى باديتهم

والاحباشُ الى مصانع المدينة وعادت المطايا الى حظائرِها ، وُجِعَ السلاح وأعيد الى مستودعاته .

**ثروات مكة**  
كان يهود يثرب يشبهون القرشيين بالملوك لكثرة ثرواتهم مع ان هؤلاء اليهود كانوا من الاثرياء يتاجرون بالمجوهرات وصناعاتها . ولم يكونوا ليصدقوا ان اشراف الناس وسادتهم وملوك العرب ، كما قال كعب الاشرف ، ينهزمون امام قبضة من الانصار المزارعين في معركة بدر .

كان تجار قريش يصدرون بقيقم تفوق قيم ما يستوردون وينقلون ، فقد اشترك متجر ابي احيحة في قافلة بدر بثلاثين الف دينار ، ولعل هذه القيمة الضخمة تضم النش<sup>١</sup> ، اي انصاف الدنانير ، التي يكتتب بها العامة . واما بنو امية فقد بلغت قيمة اسهمهم عشرة آلاف دينار ، وفي الوقت نفسه كان هؤلاء « الراساليون » يجهزون قوافل اخرى في طريقها الى اليمن .

وكانت بنات ابي احيحة من اغنى محتقات مكة . ولعل

١ نصف كل شيء ، وهو هنا بمعنى نصف دينار .

٢ المحتقة المدخرة من ارض وغيره .



عبد الرحمن بن عوف الذي هاجر مع النبي الى المدينة معدماً والذي جمع ثروة تقدر بالملايين اعتماداً على نفسه ، دون ان يكون لديه في يثرب شيء ، من المال اول الامر ... لعل هذا الصحابي يرمز الى ما تميز به القرشيون من مهارة في التجارة ، وتنظيم القوافل ، حتى قيل « العرب تجار وسامسة » . وكذلك كان ابن جدعان من اصحاب الملايين ، فشبّه احد الشعراء بقيصر . نشأت ثروته من الاتجار بالعبدان بنوع خاص . ولم يكن هو وابو سفيان ليستثمرا جميع اموالهما في تجارة القوافل ، ويعرضها لخطر الضياع . فقسم منها في الطائف والمدينة وبين ايدي الزعماء في القبائل ، وقسم آخر ينفق في استخراج المعادن . وكان الوليد بن المغيرة وعبد الله « ابو عمر » بن ابي ربيعة من اصحاب الثروات الضخمة ايضاً . وهذان الاخيران ينتسبان الى قبيلة بني مخزوم القوية . ويُذكر ان الوليد بن المغيرة جمع ثروة من الاتجار بالطيوب . وكان هؤلاء الاثرياء يتعهدون لباس الكعبة النسيج اليمني ، فيؤدي كرمهم الى دعاوة حسنة لمتاجرهم .

واما فئة التجار العاديين واصحاب الحوانيت وصغار الباعة فقد كانوا يؤلفون الطبقة المتوسطة في مكة . فيشرفون الى جانب متجرهم الخاص على مصلحة من المصالح الصناعية حيث يستخدمون العبدان . وذلك لان العرب ولاسيما في الجاهلية

كانوا يتعمرون المهن ، ويسندون اعمالها الى عبدانهم ، فيستخدمونهم بالحدادة والنجارة والجزارة .

**منابر مكة**  
لمصارف مكة « كتاب » تُدَوَّن فيه الحسابات .  
ولكلِّ من المسترّبين <sup>١</sup> كتاب خاص يكتب فيه ما عليه وما له . يطلق على الكتاب الرئيسي اسم « الامام » ، ويقوم بالاشراف عليه فتى يراقبه الخازن . اما القراءة والكتابة والحساب فكانت منتشرة انتشاراً كبيراً في مكة ، حتى ان الانصار استخدموا اسرى بدر في تعليم اولاد المدينة ، فُطِّب من الاسير تعليم عشرة من غلمان الانصار ليُخَلِّي سبيله ، ويوم ذاك تعلم زيد بن ثابت كاتب الرسول فيمن تعلم <sup>٢</sup> .  
وللميزان كما للكتاب اهمية كبيرة في المتاجر والمصارف ، يستخدم في وزن البضائع عند شرائها او بيعها . واما الموازين القسط فتستعمل لوزن النقد من المعادن الثمينة كالذهب والفضة <sup>٣</sup> ،

١ المسترّبين هو الآخذ حاجته من المال . قال العرب : اخذ زبنه من المال اي حاجته . واما الزبون بمعنى المشتري فهي كلمة مولدة .

٢ راجع المقرئبي : امتاع الاسماع ، ج ١ ص ١٠١ .

٣ « وَتَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ » الانبياء ، ٤٧ . - « وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ » الانعام ، ١٥٢ . - « وَأَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ » هود ، ٨٥ . - « وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ » الرحمن ، ٩ .

يقوم بالمهمة وزان يزن بالاجر . ولعل تجار مكة كانوا ابرع الناس في استخدام رؤوس اموالهم في المتاجر ، فيعمدون الى استثمارها عوضاً عن خزنها في صناديقهم .

وهناك قسم من السكان مؤلف من السماسرة والباعة يعتمدون في اشغالهم على الدين . وكان من المعروف لديهم نوع من الامانات او الودائع ، يدفع عنها اصحابها مبلغاً من المال ، فيحتفظ بها الامين مدة من الزمن ، ويردها عند الطلب بعد ان يأخذ عليها جملاً . واما الودائع التي يُصرّح له بالتصرف بها ، فانه يدفع عنها فائدة معينة بشروط خاصة تُدَوّنُ في وثائق وتختتم .

وكان اصحاب المصارف يتفننون في استثمار اموالهم . فيضاربون باسعار النقد والبضائع ووصول القوافل او تأخرها . اما النقود المتداولة في مكة فاجنبية المصدر : الدينار البيزنطي ، والدرهم فارسي . والنقد الرائج في الشراء والبيع والصدّاق والهبات والديات هو النوق ، لان الجمل هو الوحدة النقدية عند العرب . ويستعملون احياناً في المناطق الزراعية كالطائف القمح والتمر والزبيب . تنقل القوافل الى مكة مختلف النقود البيزنطية والساسانية والحميرية وهي ذات اوزان مختلفة واشكال غير متسقة ، لانها تصدر عن مصانع متعددة ، لا يعرف قيمتها الحقيقية الا الصراف الخبير المحترف .

يتطلب تنظيم القوافل نفقات كثيرة  
الصرافون والدين ورجالاً عديدين ، فيقرض صاحب المال

ماله للتجار وقائدي القوافل والسماسرة . ولا يكتفي اصحاب  
المصارف كأعمالهم من المعاصرين ، باستخدام مالهم الخاص ، بل  
يتصرفون ايضاً بالودائع . اما تجهيز القوافل فيشترك فيه جميع  
القرشيين اغنياؤهم وفقراؤهم حتى ان هناك من كانوا يساهمون  
بدينار او بنصف دينار ، وينالون مقابل ذلك حصة نسبية من  
الارباح .

وكان القرشيون يتزوجون من اكثر القبائل قوة في السراة  
ليسهروا حماؤهم على مصالحهم ، ويتعهدوا متاجرهم النقالة باكثر ما  
يمكن من الرعاية ، ويعهدون بقيادة القوافل في رحلتها الى احد  
اصحاب المصارف كأي سفيان مثلاً ، فيتصرف هذا بالبضائع  
حسب خبرته الخاصة . واما القيادة العملية فيسلمونها الى « خريّت  
مرّيّت » . وفي اسواق الشام كان ابو سفيان او رئيس القافلة  
يتصل بالتجار ويقف على حالة الاسعار ، بعد ان ينزل ما يحمله  
في مستودعات ايلة وغزة وبصرى وحمص ، وهي مدن تكاد  
تكون عربية قبيل الدعوة .

يتعامل اغنياء مكة بالربا فيقرضون الدينار بالدينار والدرهم بالدرهم ، اي بفائدة مائة بالمائة . ويكتب الاغنياء بذلك وثيقة يذكرون فيها مجموع القيمة والفائدة ، فاذا لم يدفع المستدين ما عليه يصبح 'سُخْرِيًّا' هو واهله للدائن ، اي يعمل في خدمته لوفاء ما عليه . وبوسعه ان يفي ما عليه بدفعات يومية تدعى الخراج او الضريبة ، وهو اسم يطلق على ما يؤخذ من العبد يومياً مقابل انصرافه الى عمل معين . وهكذا نرى ان عدم الوفاء بالديون يكاد يجعل من المستدين عبداً لدائنه . لذلك رأينا الاسلام يسرف في نقد المرايين ومن يعمل معهم .

للبضائع المباعة في مكة سعران : سعر مخفض للذين يدفعون عاجلاً ، وسعر مضاعف للدفع الآجل . وهذا لا يعني ان جميع البدو كانوا يسددون ما عليهم من الديون . فاصحاب المصارف والثروات كانوا يتعرضون للافلاس . والدليل على ذلك ما ورد في شعر الجاهليين في هذا الموضوع منه :

وَكُلُّ غَرِيمٍ حَظُّهُ جَعْدُ مَالِهِ      اِذَا شَحَّ يَوْمًا اَوْ اَسَاءَ التَّقَاضِيَا

سَبَقَلَمُ مَكْحُولٌ اِذَا ضَمَّ رَقْعَةً      لَهَا طِينَةٌ ، اَيَّ الْقَرِيَّةَيْنِ رَايَحُ

طَمَسْتُ الَّذِي فِي الصَّكِّ مِنِّي بِحِلْفَةٍ سَيَقْرِهَا الرَّحْمَنُ وَهُوَ غَفُورٌ

وَلَوْ بَنَى الْكَفَّ نَحْسِبُ رَنْجَهُ وَلَمْ يَحْسِبِ الْمَظَلَّ الَّذِي أَنَا مَاطِلُهُ  
سَيَرْضَى مِنَ الرَّبْحِ الَّذِي كَانَ يَرْجِي بَيْعُ الَّذِي أُعْطِيَ وَمَا هُوَ نَائِلُهُ

اما داء المضاربة فقد كان منتشراً في جميع الطبقات والبيئات بين الرجال والنساء والُحلما والاخلاط ، بين سكان البطحاء والظواهر . وكان يؤدي هذا الداء الى الافلاس . لذلك حرم القرآن الميسر بشدة وعنف . تعقد صفقات المضاربة حول ارتفاع الاسعار وانخفاضها ، وبيع القوافل المنتظرة ، وحاصلات الحقول المقبلة ، ونتاج الماشية وغنائم الغزوات . ويختزن بعض التجار الحبوب لرفع اسعارها عند محل الموسم ، او تأخر القافلة عن الوصول ، او خروج الاعراب عليها في الطريق .

هناك نوعان من القوافل : القافلة

### نظام القافلة وبضائرها

الخاصة وهي التي يجهزها رجل من

التمولين لحسابه الخاص ، والقافلة العامة او الرسمية ، وهي التي يشترك فيها جميع القرشيين تقريباً ، ويكون وصولها حدثاً هاماً يعادل اعظم الاعياد ، يخرج الناس لاستقبالها حاملين احياناً الطبول

يقرعون عليها فرحاً<sup>١</sup> . وعندما تتوجه منها تبقى على اتصال بها بواسطة الرسل الذين تبعث بهم في كل مرحلة الى مصدرها . وفي العودة يتقدمها جماعة من الرواد لابلاغ الاهلين خبر مجيئها . تسير القافلة باشراف خفير يحرسها ويكفلها بما له وبما لقبيلته من المكانة بين البدو . وهذا الخفير يقوم بالمهمة بنفسه او بارسال فرقة من الحراس عوضاً عنه<sup>٢</sup> ، يعاونه الدليل ، وهو مكلف ارشادها في الفيا في وتنظيم المراحل ، ويكون خبيراً بطرق الصحراء ومفاوزها وآبارها ومراعيها ، الى جانبها الدليل التجاري ، والخبير السياسي والعين . وقد يبلغ عدد الجمال في القافلة القرشية العامة احياناً ٢٥٠٠ جمل ، والذين يسيرون معها من التجار والادلاء والمرافقين يبلغ

١ . يستقبلونها بالطبل والتصفيق فرحاً بها . وقد ذكر المفسرون ان دحية بن خليفة الكلبي رجع مرة بتجارة زيت وطعام من الشام والنبي يخطب يوم الجمعة على منبر مسجد المدينة ، فاستقبلها الناس كمادتهم بالفرح والطبول والتصفيق . وخشي المصلون ان يُسبقوا الى العير فيفوتهم الربح ، فتركوا الرسول يخطب وبادروا اليها في البقيع ولم يبق مع الرسول الا اثنا عشر رجلاً . فنزلت الآية في ذلك « واذا رأوا تجارةً اوْ لهواً انْفَضُّوا اليها وتركوك قائماً » الجمعة ، ١١ . راجع الافغاني : اسواق العرب ، ص ٢٥ ، دمشق ١٩٣٤ . وفي هذا الكتاب فصول قيمة تتعلق بتجارة العرب في الجاهلية .

٢ . كانت مدينة تدمر تقيم التماثيل للخبراء .

عددهم احياناً ثلاثمائة رجل

### تجارة القوافل

من البضائع التي تنقل من مكة شمالاً  
او جنوباً الجلود ، يؤخذ من مصانع

الطائف . يستعمله العرب رداء يتخذونه عوضاً عن الدرع في  
ساحة الحرب ، وفي تنميل الخيل ، وفي الكتابة . ومن البضائع  
المنقولة الزبيب الطائفي . وكان القرشيون يسعون الى كسب  
صداقة بني سليم كي يتخذوا منهم حلفاء ، لنزولهم في بقعة  
يكثر فيها الذهب والفضة . فتنقل القوافل القرشية هذين المعدنين  
الشميين وحياناً آنية فضية من اليمن . وكانت رحلة الصيف الى  
اليمن في شراء الروائح والطيوب ، ورحلة الشتاء الى الشام .  
يشترى القرشيون من اليمن بضائع فارس والهند والشرق الاقصى  
ولاسيا الحرير الصيني والنسيج العدني ، وبضائع افريقية كالتبر  
والعاج والعبيد ، ويشترون من مصر وسورية الاقمشة ، ولاسيا  
الارجوانية ، وينقلون من بصرى الاسلحة ، رغم ان البيزنطيين  
كانوا يمنعون اخراجها .

١ كانت عبر قريش في بدر الف بعير فيها اموال عظام . ولم يبق  
بمكة قرشي ولا قرشية له مثقال فصاعداً الا بعث به في العير . فيقال ان  
فيها خمسين الف دينار ويقال اقل . (راجع المقرئزي : امتاع الاسماع ، ج  
١ ، ص ٦٦) .



## مصيف القرشيين

ليس في الحجاز منطقة اكثر تنوعاً ،  
وأجل منظرأ ، من الطائف وضواحيها .

فهناك مجموعة من الاودية الممرعة الوفيرة المياه ، وكثير من  
السفوح الخضراء حيث ينبت الحب والشجر المشمر والغابات . وفي  
الجال المجاورة مراع خصبة يتردد الى آجامها الخطابون والفحامون  
وجامعو القطران والاصماغ . وفي ضواحي المدينة مزدروعات  
غنية للثقفين او اثرياء قريش . فالاسر المكية الغنية كانت تسعى  
جهدا في ان يكون لها قطعة من الارض في منطقة الطائف .  
وكان اصحاب المصارف من القرشيين يحبون العيشة الساذجة  
فيها ، كأن غريزتهم البدوية قد استيقظت فحببت لهم الرجوع الى  
حياتهم الاولى . حفر السكان في بلدهم الاقنية ، وشيدوا الخزانات  
والاسداد عند ثغور الاودية ، لتساعد على ابقاء قسم من المياه  
لسقاية المزروعات . واحتفار الابار مما يفخر به الاسياد الاغنياء  
خاصة والعربي عامة . وقد ذكر الرحالة بوركارت انه عندما نزل  
الطائف تخيل انه قد حلّ في لبنان لحصب ارضها ، وكثرة ثمارها .  
ففيها العنب والزيتون والموز والدراقن والسفرجل والرماز  
والبطيخ الاصفر . تنقل هذه الحاصلات الى اسواق الحجاز ولاسيما  
سوق مكة . فتزدحم الطريق التي تصل المدينتين بالقوافل المترددة  
بينهما . ولجئ الطائف وخلصها شهرة كبيرة ، فقد ذكرها الشعراء

في قصائدهم . وزيبها يضرب به المثل في الجودة والحلاوة .  
وقد عني ابو سفيان بنوع خاص بتجارة الزيب والزيت فينقلها  
الى مكة ويبيعها هناك . وله في تجارته هذه شركاء من الثقفين  
انفسهم . ويكثر في الطائف العسل ، ولاسيما الذي على حالته  
الطبيعية في الغيران .

كان فيها جماعة من اليهود جاؤوها على ما يقول البلاذري ،  
من المدينة هارين او من بلاد اليمن ، فوضعت عليهم جزية  
مقابل اقامتهم فيها او اتجارهم . ورغم ذلك فقد ملكوا مناطق  
في الضواحي ، اشتراها منهم فيما بعد الخليفة معاوية .

كان لوقوع الطائف في النهاية الجنوبية الشرقية من الحجاز ،  
بالقرب من المدن التجارية اليمنية كجرش وتبالة ونجران ، اثر  
كبير في التجارة العربية العامة . فهي تشرف على الطرق التي تمر  
في نجد ، ومن اعاليها كان بوسع القرشيين ان يراقبوا سير  
القوافل الآتية من بابل ، ومن شواطئ الخليج العجمي للنزول  
في عكاظ حيث تقام السوق الرئيسية التي تأتي في الدرجة الثانية  
بعد مكة . وكانت عكاظ معبداً وسوقاً معاً ، تملك ثقيف  
وهوازن ما فيها من النخيل .

الى جانب كل هذا كان في الطائف صناعات مشهورة للنعال  
والسروج والخيم الجلدية والحياض ايضاً . وقال عنها الهمداني

« انها بلد الدباغ ، يدبغ بها الأهُبُ ' الطائفية المعروكة ' » .

## العبادة الحجازية

ليس من الواقع في شيء القول ان العرب الحجازيين الذين نزل القرآن في بيئتهم كانوا لا يعرفون سوى الطواغيت مرجعاً روحياً لهم ، يعمدون اليها في مختلف احوالهم النفسية وحاجاتهم الدنيوية ، وانما يتجلى للدارس ، اذا تفحص الآيات القرآنية ، وراجع النصوص التاريخية المتعلقة بالعقيدة الحجازية آنذاك ، انهم كانوا ينقسمون شيعاً متعددة ، وان الدين لم يكن مشتركاً بينهم ، وانما هم فرق في ايمانهم ، بعضهم يدين بنصب خاص ، وآخر يعبد حجراً معيناً ، وثالث يطمئن الى العبادة الحنيفية او التآله ، ورابع يعتمد على الشياطين والجن .<sup>١</sup> ورجحت قبيل الرسالة فكرة الآله الواحد على مجموعة الآلهة ، واصبح الاله فيها هو « الله » ، الذي يحاول القرآن بكل ما اتصف من

١ جمع الالهة وهو الجلد من البقر والغنم والوحش ما لم يدبغ .

٢ الاكليل ج ٨ ص ١٢٠ .

٣ « قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون » سبأ ، ٤١ . - « وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادهم رهقاً ، الجن ، ٦ .

البلاغة الخطابية ان يعرف به ، ويعين صفاته ، ويبين الفروق بينه وبين آلهة المشركين . ولعل سورة الشورى المكية <sup>١</sup> ابلغ السور من هذه الناحية ، تكاد تلخص جميع الصفات الالهية المنتثرة في السور الباقية من مكية ومدنية . وكأننا بالكتاب — وفكرة الآله الواحد لا تزال بعيدة عن الاذواق الحجازية — يحاول ان يحلو بابرع الاساليب الآله الذي يجمع في ذاته كل صفات القدرة والكمال والمعرفة .

ومن الثابت ان بعض الحجازيين عرفوا الله قبل الكتاب . ورد ذلك في كثير من السور <sup>٢</sup> وفي اشعار الجاهليين واخبار الرواة <sup>٣</sup> . وجعلوا له شركاء من الجن والشياطين والبنين والبنات <sup>٤</sup> .

١ « كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم ، له ما فى السموات وما فى الارض وهو العلي العظيم ، تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الارض ألا ان الله هو الغفور الرحيم » الشورى ، ٣ ، ٤ ، ٥ .

٢ « ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله ولو ترى الذين ظلموا إذ يرون العذاب ، أن القوة لله جميعاً ، وإن الله شديد العذاب » البقرة ، ١٦٥ .

٣ وباللات والعزى ومن دان دينها وبالله ان الله منهن أكبر ( الانعام ص ١٧ ) .

٤ « وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم ، وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون » الانعام ، ١٠٠ . — « ويجعلون لله البنات

ويبدو من آيات غيرها ان قسماً منهم اقروا بوجود الله ، غير انهم اتخذوا من دونه الأنصابَ شُفَعَاءَ ،<sup>١</sup> ويأخذون الكتاب كل ذلك بقوله « ذَلِكَ يَأْنِ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ »<sup>٢</sup> ، حتى ان بعض المشركين كانوا يعتقدون ان الله هو الذي خلق السموات .<sup>٣</sup>

بعد ان نتبين الاختلاف في العقائد الحجازية بمطالعة السور القرآنية نقف على آيات تعرض بشيء من الاقتضاب لمظاهر تلك العبادات وخصائصها ، فنرى ان الغموض والابهام يغمرانها من كل النواحي . ولعل ذلك نأجم عن تكاثر النزعات الدينية آنذاك ، وعن انه لم يكن للبلاد الحجازية ، بل للقريات نفسها ، بل للقبائل

---

سبحانه ولهم ما يشتهون « النحل ، ٥٧ . - « قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذاً لابتغوا الى ذي العرش سبيلاً » الاسراء ، ٤٢ .

١ « ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » قل « أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون » يونس ، ١٨ . « قل من رب السموات والارض قل الله قل افاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لانفسهم نفعاً ولا ضرراً » الرعد ، ١٦ .

٢ الحج ، ٦٢ .

٣ « ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل افرأيتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضرره ، او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته » الزمر ، ٣٨ .

ففسها ديانة واحدة معينة من حيث الشعائر والعبادات والشخصيات الالهية ، وانما كانت متداخلة متشعبة غامضة ، قستقر وتتفق في مظهر واحد ، وتختلف في مظاهر عديدة . وامله — اذا استثنينا العبادة العملية من طواف وأعتبار وعتر وحلق رأس — كان للهوى الشخصي اثر بين في الايمان . وكان للفرد ان يتصرف في رأيه ، وفي تفكيره بربه ، وان يجعل له ما يشاء من الصفات الاضافية ، وان يشرك به من يشاء من آلهة الجيران والبلدان التي تعرف اليها <sup>١</sup> . لذلك لم يكن بالعجيب ان نرى كثيراً من القبائل ، وان تفردت بآله خاص ، لا يخالطها ضير في ان تكرم آلهة الآخرين ، ولا عجب ايضاً اذا كان نصارى العرب من غساسنة

١ اخص الساميون ، ولا سيما البابليون والاشوريون والكنعانيون والعرب ، بالتساهل في امر عبادتهم . فان سكان كل مدينة يحترمون اله المدينة المجاورة ويسعى ملوكهم جهدهم الى اكرام اكبر عدد ممكن من الآلهة في مدن مختلفة ، ليكونوا لهم احلافاً في كل مكان .  
فمن الرسائل التي عثر عليها في تل العمارنة بمصر رسالة بعث بها ملك ميتاني ( مملكة ميتاني كان يقطنها شعب ينتمي من حيث الجنس الى الحثيين ، ينزل القسم الشمالي من العراق حتى نينوى ) المدعو توشراتا الى عمانوفيس الثالث ملك مصر ، يبلغه فيها انه مرسل اليه الالهة عشتار الهة نينوى ، ويطلب منه ان يحسن استقبالها . ويبدو انها قامت في عهد خلفه برحلة كبيرة كهذه . وهكذا يتبين ان الآلهة كانت تعار ، ولم تكن لتحصر في منطقة واحدة ، او ليخص بعبادتها واکرامها شعب واحد او مجموعة واحدة من الشعوب .

ومناذرة يشتركون مع بني اعمامهم الوثنيين في الاحتفال باعياد آلهتهم ، ويهدون اليها الهدايا النفيسة .

فالباحثون الذين يذهبون الى ان الحجازيين كانوا على دين واحد لفي ضلال من امرهم ، لان المشركين تفرقوا شيعاً وكل حزب بما لديهم فرحون .

جاء في القرآن شذرات عن تلك العبادات وميزاتها ، تبين منها ان البيت كان ملجأ للناس يأمنون فيه الشر كما انه اشار

١ « من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً ، كل حزب بما لديهم فرحون » الروم ، ٢٢ .

٢ « فيه آياتٌ بيناتٌ مقام ابراهيم ومن دخله كان آمناً » آل عمران ، ٩٧ . « واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق اهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر » البقرة ، ١٢٦ . والناس يقولون : « آمن من حمام مكة ومن غزلان مكة » ، وهذا شائع على جميع اللسان ( راجع الجاحظ ، كتاب الحيوان ، ج ٣ ص ١٩٢ ) . وقد دخل مكة قوم من التجار ، قدموا من الشام في الجاهلية بعد قصي بن كلاب ، فنزلوا بوادي طوى تحت سمرة يستظلون بها ، فاخترزوا على ملة لهم ولم يكن معهم ادم ، فقام رجل منهم الى قوسه ، فوضع عليها سهماً ، ثم رمى به ظبية من ظباء الحرم ، وهي حولهم ترعى ، فقاموا اليها فسلخواها وطبخوها ليأتمدوا بها . فينأى هم كذلك ، وقدرهم على النار تغلي بها وبعضهم يشوي ، اذ خرجت من تحت القدر عنق من النار عظيمة فاحرقت القوم جميعاً ، ولم تحرق ثيابهم ، ولا امتعتهم ولا السمرة التي كانوا نحتها .

الى قدسية الصفا والمروة ، وحتم على المؤمن ان يحج البيت  
ويعتمر بعد السعي بينهما<sup>١</sup> . اما الآلهة التي وردت اسمائها فهي  
اللات والعزى ومناة الثالثة<sup>٢</sup> .

ولكن هذه الاساطير التي تنقل عن عصمة البيت والحرم لتخويف الناس لم تحل  
دون احتراق الكعبة نفسها . وذلك ان امرأة ذهبت تجمر الكعبة يوماً فطارت  
من جمرتها شرارة فاحترقت كسوتها ، وكانت الكسوة عليها ركناً بعضها  
فوق بعض . فلما احترقت الكعبة وهت جدرانها من كل جانب ، وتصدعت ،  
فجاء سيل عظيم وهي على تلك الحال ، فدخل الكعبة وصدع جدرانها ، فخافت  
قريش عليها وهابت هدمها . فيناهم على ذلك يتناظرون ويتشاورون اذ اقبلت  
سفينة للروم ، حتى اذا كانت بالشعبية ، وهي يومئذ ساحل مكة قبل جدة ،  
انكسرت فسمعت بها قريش فركبوا اليها فاشترى خشبها ، واذنوا لاهلها ان  
يدخلوا مكة فيبيعوا ما معهم من متاعهم على الا يعشروهم . وكان في  
السفينة رومي نجار بناء فقام بينائها . وزرقوا سقفها وجدرانها وباطنها ودعائها  
وجعلوا عليها صور الانبياء وصور الشجر والملائكة . فكان فيها صورة ابراهيم  
الخليل ، وصورتا عيسى وامه . فلما كانت عام الفتح دخل الرسول البيت فجاء  
بشوب بلّ بالماء ، وامر بطمس تلك الصور ، فطمست ، ووضع كفه على صورة  
وقال : امحوا جميع الصور الا ما تحت يدي . فرفع يده فاذا هي صورة عيسى  
وامه . - ( راجع الازرقى : تاريخ مكة ج ١ ص ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٤ ) .

١ « ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا  
جناح عليه ان يطوف بهما ومن تطوع خيراً فان الله شاكر عليم »  
البقرة ، ١٥٨ .

٢ « افرايتم اللات والعزى ومنوة الثالثة الاخرى ، لكم الذكر وله  
الانى » النجم ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ .



ولعل القرآن ينظر الى ما يعبد المشركون نظره الى الشياطين وجوهر الشر . فالؤمنون يقاتلون في سبيل الله ، والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت .<sup>١</sup>

وتكررت الآيات التي وردت فيها لفظة « القيامة » ، فيهدد الكتاب الكافرين والمنافقين بالويل والشبور ، وبتقديم الحساب عن سيئاتهم يوم الحشر . فلو كانت هذه اللفظة لا تدل عند الجاهلي على ما تدل عليه بعد الاسلام لما ورد ذكرها ، ولما كان لها اثر في نفوس الذين وجهت اليهم من متحضرين ومتبدين ، ولما كان تهديداً بامر لا يفقهه الناس مرماه وفجواه . لذلك يمكننا القول ان الجاهلي الذي نزل القرآن له كان يؤمن بما يسميه القيامة وما ينتج عنها من مصير حسن او سي . فهو اذاً مؤمن بحياة اخرى بعد هذه الدنيا . اما كيف تكون ؟ وما هو الشكل الذي يتخذه كيانه في العالم الآخر ؟ كل هذه امور تصعب الاجابة عنها بما يمكن الاطمئنان اليه . وانما الامر الثابت هو ان الكتاب كان كثير التأثير في نفوس سامعيه ، ينقر على اوتارهم الحساسة « الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تشعير منه

١ « الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت » النساء ، ٧٦ .

جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ، ثُمَّ تَلَيْنُ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ .  
ذَلِكَ هَدَى اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَهُوَ لَهُ مِنْ  
هَادٍ .

كان اليهود يتزلون اخصب المناطق حول  
المدينة ، واخصب الواحات في الطريق  
بين الحجاز وسورية ، ولهم مقبرة في مكة ، غير انه لم يُعترف  
لهم بحق الانتساب اليها او الى احدى اسرها .  
وأرغم يهود خيبر على التحالف مع بني فزارة ، فيتناول  
العرب نصف ما تنتجه الواحة مقابل حراستهم الجالية اليهودية  
من غزوات البدو الآخرين . ثم انتهى الاعتقاد بالعرب مع مرور

١ الزمر ، ٢٣ .

يسجل الكتاب بوضوح وجلاء الحياة الحجازية الجاهلية بكل ما كانت  
تؤخر به من العواطف والاهواء والميول والنزعات ، وما كانت تضطرب به  
من ايمان بالنصرانية واليهودية والحنيفية والشركية ، ومن تجارة وربا وميسر  
ومجون ، ومن اعتقادات خرافية كالتطير والجن والشياطين الموحية ، ومن  
انقسام العرب متحضرين ينصرفون الى الاتجار وجمع المال ، فلا يعنون  
بآخرتهم الا قليلاً ، واعراباً ينصرفون الى صحرائهم يقضون في امنها ما  
انتزعوه في غزواتهم . فالكتاب وان كان في الاسلام الامام الاكبر الذي  
اتبعه المسلمون في حياتهم المدنية والدينية فهو ايضاً سجل حياة العرب قبيل  
الرسالة .

الزمن ، الى انهم هم اصحاب هذه الاراضي ، ازلوا فيها اليهود والحضر لزراعتها .

كان لليهود في المدينة وخير مدارس ، وصندوق مال تجمع اليه الضرائب التي يفرضها الدين الاسرائيلي ، وتنفق في مصلحة المجموع . ولهم لغة خاصة هي خليط من العربية والآرامية ، تكثر فيها التعابير السريانية . وقد اثار تعجرف اليهود واعتزازهم بنفسهم حفيظة العرب مع انهم قد اشتهروا قبل الاسلام بالتساهل الديني . ومنذ العام السادس للهجرة لم يبق لليهود جامعة تربطهم ، فانترعت منهم اراضيهم وطردها منها ، ولم يبق منهم الا افراد معدودون : تجار في المدينة ، ومزارعون في منطقة خيبر ، يعملون في خدمة المسلمين .

كان للحجاز علاقات تجارية زاهرة  
**النصارى في الحجاز**  
 بنجران وسائر البيئات في اليمن . وقد

ورد ذكر النجرانيين النصارى في السيرة ، ينقلون الى قریش اقمشتهم التي يستعملها المكيون في ستر الكعبة واحجارهم المؤلفة . وكان اللخميون يقدون لحضور اسواق العرب ، ولاسيما سوق الحجاز في منى ، ثم يزورون مكة ، ويترددون على مصارفها ومتاجرها واسواقها . اما الاديار فكانت كثيرة في شمالي الحجاز ، على طول الطريق التجارية الآخذة نحو سورية ووحدات وادي

القرى ومدین وتبوك ، وهذه الاخيرة كانت مقر الحامية من رجال الفساسنة .

وكان الانباط ، اي سكان سورية الاصليون ، يحملون الى مكة الجوب والزيت والحمور . وكان من عادة النبي ان يتردد على حوانيت الصناع النصارى واكواخهم في مكة فيتحدث اليهم في الشؤون الدينية ، حتى اتهمه الخصوم بانه يستقي منهم الاخبار التي يسردها على سامعيه . ولا شك ان الاطباء والجراحين واطباء الاسنان كانوا من النصارى في مكة . وكان المكيون يخصصون الفساسنة النصارى بالاكرام فينزلونهم البطحاء اي قلب المدينة ، منزل الاسر الكريمة فيقيمون في جوار الكعبة . وكثيرون من النصارى من كانوا يوفقون بين عقائدهم التوحيدية واكرامهم الكعبة وغيرها من المناسك الوثنية . فحلف شعراؤهم بالله وباللات وبالانصاب وبالبيت الحرام دون تردد ، وحجت جاهيرهم الى مكة ومنى .

لم يكن في مكة جماعة نصرانية وطنية الا ما حققه التاريخ من وجود بضعة نصارى لا يشك في شخصيتهم ، وقد لا يتجاوزون العشرة من القرشيين الصميمين ، يضاف اليهم بعض الاحلاف الملتحقين بالاسر المكية ، وسواهم من العبيد والمغارمين والصعاليك وباعة الخمر والتجار الذين يرون بمكة وجوارها ،

فيقيمون مدة عقد الأسواق ، او يدخلون مأجورين في الجيش  
المكي ، او يقومون ببعض المهن البسيطة ، وهم غالباً من  
الاحباش .

هناك روايات ثلاث حرة بالعناية  
اسباب ظهور الوثنية  
تعرض لمنبع الوثنية في البلاد العربية ،

اشار اليها مؤرخو العرب ورواتهم ، لعلها بعض ما كان يتناقله  
شيوخ القبائل في سهراتهم حول النار المشبوبة . وهي دون شك  
اخرى الروايات بالتصديق والقبول لقربها من المعقول ، ولشدة  
الشبه بينها وبين الاسباب التي دعت الشعوب الاخرى من  
بابلين ويونان ورومان الى اعتناق الوثنية .

والروايات الثلاث تتفق على امر واحد نراه عند جميع  
المؤرخين ، وهو ان العرب قبل تعرفهم الى الانصاب ، كانوا على  
دين ابراهيم الخليل . ولعله دين يقوم على الاساس العبري دون  
ان يستند الى تعاليم موسى نفسه . فالاله واحد قوي جبار ،  
يتصل بالانسان مباشرة ويكافئه على الحسنات ، ويعاقبه على  
السيئات . غير ان عناصر جديدة تسربت الى حياة العرب ،  
فجعلتهم يهملون هذا الدين السماوي ، ويتحولون الى عبادات  
اخرى لا تمت الى التوحيد بصلة ، ولا الى الاله الحق بنسب .  
الرواية الاولى : ان اسماعيل بن ابراهيم لما سكن مكة ،

وولد له بها اولاد كثر ، حتى ملأوا مكة ، ونفوا من فيها من العماليق ، ضاق عليهم المقام ووقعت بينهم الحروب والعداوات . واخرج بعضهم بعضاً ، فتفسحوا في البلاد لالتماس المعاش . وكان لا يظعن من مكة ظاعن الا احتمل معه حجراً من حجارة الحرم ، تعظيماً له وحباً بمكة . فحيثما حلوا ، وضعوه وطافوا به كطوافهم السابق ، كأنهم يعظمون الكعبة والحرم . ومع ذلك فهم يحجون ويعتمرون على ارض ابراهيم واسماعيل . ثم انتقل بهم الامر الى ان عبدوا ما استحبوا ونسوا ما كانوا عليه ، واستبدلوا بدينهم غيره فعبدوا الاوثان .

الرواية الثانية : تقول انه لما تغلب عمرو بن لحي الخزاعي على جرهم واجلاهم عن الكعبة تولى حجابة البيت بعدهم . ثم اصابه مرض شديد فوصف له الاطباء الذهاب الى البلقاء في الشام ليستحم بمائها الحار ، فيشفى مما به . فلما اقام بها مدة وجد اهلها يعبدون الاصنام فسألهم عنها فقالوا : « نستسقي بها المطر ونستنصر بها على العدو . » فطلب منهم ان يعطوه منها ففعلوا . فقدم بها مكة ونصبها حول الكعبة .

١ ابن الكلبي : كتاب الاصنام ص ٦ . الازرقى : اخبار مكة ج ١ ، ص ٦٦ - ٦٧ .

٢ الاصنام ص ٨ . المسعودي : مروج الذهب ج ١ ، ص ٣٦٧ .

الرواية الثالثة : تقول ان بعض الالهة ، ولاسيما وُدّ  
وسُواع ويغوث ويعوق ونسر ، كانوا قوماً صالحين ماتوا في شهر  
واحد . فجزع عليهم ذوو قرابتهم ، فنحت احد المئاثين لهم خمسة  
اصنام على صورهم ، ونصبها لهم . فكان الرجل يأتي اخاه وعمه  
وابن عمه ، فيعظمه ، ويسعى حوله ، حتى ذهب الجيل الاول ،  
ثم جاء جيل آخر فعظموهم اشد من تعظيم الاولين . فظن اولاد  
هؤلاء واحفادهم ان سلفاءهم انما عظموهم لما يرجون من شفاعتهم  
عند الله ، فعبدوهم ، وعظم امرهم واشتد كفرهم . . .

واشار البخاري الى هذه الرواية في صحيحه ، فرأى ان  
الاثوان التي كانت في قوم نوح صارت الى العرب بعد . اما وُدّ  
فكانت لكَلْبٍ يَدْوِمَةُ الْجَنْدَلِ ، وَاَمَّا سُوعٌ فَلِهَيْذِلِ ، وَاَمَّا يَغُوثُ  
فَلِمُرَادِ ثُمَّ لِبَنِي عُطَيْفٍ بِالْجُوفِ عِنْدَ سَيَا ، وَاَمَّا يَعُوقُ فَكَانَتْ  
لِهَمْدَانَ ، وَنَسْرٌ لِحَمِيرٍ لَالٍ ذِي الْكَلَاعِ . كلها اسماء رجال  
صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا اوحى الشيطان الى قومهم  
ان انصبوا الى مجالسهم التي كانوا يجلسون انصباباً وسموها  
باسمائهم ، ففعلوا فلم تعبد حتى اذا هلك اولئك وتدنس  
العلم عُبِدَتْ .

مناة : اقدم الاصنام كلها ،

### اشهر الانصاب المجازية

منصوب على ساحل البحر من

ناحية المشلل بقديد ، بين المدينة ومكة . كانت العرب جميعاً تعظمه ، وتذبح حوله . يعظمه الاوس والخزرج وغسان واهل الشام ومن ينزل المدينة ومكة ، ويذبحون له ويهدون اليه ، ويحجون . يقفون مع الناس المواقف كلها ولا يحاقون رؤوسهم ، فاذا جاؤوا نصب مناة حلقوها ، واقاموا عنده ، لا يرون لحجهم تماماً الا بذلك .

وظلت مناة على ذلك تعظمها قريش وجميع العرب حتى خرج الرسول من المدينة سنة ثمان من الهجرة ، وهو عام الفتح . فلما سار من المدينة اربع ليال او خمساً ، بعث علياً اليها فهدمها ، واخذ ما كان لها ، فاقبل به على الرسول ، فكان فيما أخذ سيفان كان الحارث بن ابي شمر الفسائي ملك غسان اهداها اليها .

اللات : ثم اتخذوا اللات بعد مناة ، وكانت في الطائف . وهي صخرة مربعة سدفتها بنو عتّاب بن مالك من ثقيف .

يكن من قريش رجل الا وفي بيته واحد منها . يطاف بها في الاسواق فيشتريها البدو ويذهبون بها الى بيوتهم ، فاذا دخلوا خيامهم تسحوا بها ، واذا خرجوا تسحوا بها ايضاً تبركا . ( راجع الازرقى ج ١ ، ص ٧٢ ) .



جعلوا عليها بناء . عظمتها قریش وجميع العرب ، وسمت بها زيد اللات ، وتيم اللات . ولم تزل كذلك حتى اسلمت ثقيف ، فبعث الرسول المغيرة بن شعبه فهدمها وحرقها بالنار . وفي ذلك يقول شداد بن عارض الجشمي حين هدمت وحرقت ينهي ثقيفاً عن العود اليها والغضب لها :

لَا تَنْصُرُوا أَلَلَاتَ إِنْ اللَّهَ مُهْلِكُهَا      وَكَيْفَ نَصْرُكُمْ مَنْ لَيْسَ يَنْتَصِرُ  
إِنْ أَلَّتِي حُرِقَتْ بِالنَّارِ ذَا شَتَعَلَتْ      وَلَمْ تُقَاتِلْ لَدَى أَحْبَارِهَا هَدَرُ  
العزى : هي احدث من اللات ومناة . كانت بواد يقال له حراض بازاء الغمير ، عن يمين المصيد الى العراق من مكة . عظمها القرشيون وسموا بها عبد العزى . وهي اعظم الاصنام عندهم ، يزورونها ويهدون لها ، ويتقربون عندها بالذبح . وحموا لها شعباً من وادي حراض يقال له سقام ، يضاهون به حرم الكعبة . ولها منحرينحرون فيه ضحاياهم يقال له الغنقب . فاذا نحرروا يقسمون لحوم هداياهم فيمن حضرها وكان عندها . وقریش تخصها بالاعظام . قال زيد بن عمرو بن نفيل ، وكان قد تأله في الجاهلية وترك عبادتها وعبادة غيرها من الاصنام :

١ الاصنام ص ١٦ - ١٧ . تبين من النصوص القديمة ان ما حرق من اللات هو البيت الذي بني لها ، والاستار التي تطيف بها .

تَرَكْتُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ جَمِيعًا      كَذَلِكَ يَفْعَلُ الْجَلْدُ الصَّبُورَ  
فَلَا الْعُزَّىٰ أَدِينُ وَلَا أُبَتِّيهَا      وَلَا صَنَمِي بَنِي غَنَمٍ أَزُورُ  
وَلَا هَبْلًا أَزُورُ وَكَانَ رَبًّا      لَنَا فِي الدَّهْرِ إِذْ حِلْمِي صَغِيرُ  
وسدنة العزى بنوشيتان بن جابر بن مرة من بني سليم  
حلفاء بني هاشم . فلم تزل العزى كذلك حتى بعث النبي ، فلما  
كان عام الفتح ارسل خالد بن الوليد فانطلق فعضد الشجرة التي  
تحل فيها وقتل دبية سادنها .  
ولم تكن قريش ومن اقام بمكة من العرب يعظمون شيئاً

١ كانت العزى شيطانة تأتي ثلاث سمرات . فلما افتتح النبي مكة  
بعث خالد بن الوليد فقال له : ايت بطن نخلة ، فانك تجد ثلاث سمرات ،  
فاعضد الاولى . فاتاها فعاضدها . فلما جاء اليه قال : هل رأيت شيئاً ؟  
قال : لا . قال : فاعضد الثانية . فاتاها فعضدها ، ثم أتى النبي فقال :  
هل رأيت شيئاً ؟ قال : لا . قال : فاعضد الثالثة . فاتاها . فاذا بجيشة  
نافشة شعرها ، واطعة يدها على عاتقها تصرف بانباها ، وخلفها دبية  
سادنها ، فلما نظر الى خالد قال :  
اعزاً : شدي شدة لا تكذبني على خالد القى الحمار وشمري  
فانك الا تقتلي اليوم خالداً تبوئي بذل عاجلاً وتصري  
فقال خالد :

يا عزة كفرانك لا سبحانك اني رأيت الله قد اهانك  
ثم ضربها ففلق رأسها فاذا هي حمة . ثم عضد الشجرة ، وقتل دبية السادن ،  
ثم أتى النبي فأخبره . فقال : تلك العزى ، فلا عزي بعدها للعرب . انها  
لن تعبد بعد اليوم . ( الاصنام ص ٢٥ - ٢٦ . الازرق ص ٧٥ - ٧٦ ) .

من الاصنام اعظامهم العزى ثم اللات ثم مناة . وهي تخص العزى دون غيرها بالزيارة والهدية ، وذلك لقربها منهم <sup>١</sup> .

هَبَل : ولقریش ايضاً اصنام في جوف الكعبة وحولها ، اعظمها عندهم هَبَل . وهو حسب رواية ابن الكلبي من عقيق احمر على صورة الانسان ، مكسور اليد اليمنى . ادركه المكبون على هذه الحالة ، فجعلوا له يداً من ذهب . ويقال ان الذي جاء به هو عمرو بن لحي الذي تقدم ذكره . قدم بالصنم هَبَل فنصبه على البئر <sup>٢</sup> ، وامر الناس بعبادته فكان الرجل اذا قدم من سفر بدأ به ، فزاره وحلق رأسه عنده . وكان امامه في الكعبة سبعة اقدح . كل قِدَح منها عليه كتابة . قِدَح فيه « العقل » اي الفدية ، وهو المال الذي يدفع ثمن الدم المراق . فاذا اختلفوا في العقل من يحمله منهم ضربوا بالاقدح السبعة عليهم . فان خرج « العقل » فعلى من خرج له حمله . وقِدَح فيه « نعم » للامر . فاذا ارادوا امراً يضرب به في الاقدح . فان خرج قِدَح فيه « نعم » عملوا به . وقِدَح فيه « لا » ، فاذا هموا

١ الاصنام ص ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ .

٢ البئر هذه كانت على يمين من دخل الكعبة ، عمقها ثلاث اذرع ، حفرت هنالك ليكون فيها ما يهدي الى الكعبة .

بأمر ضربوا به في الاقدح فاذا خرج ذلك لم يقدموا على ما يريدون .  
 و قدح ذيه « صريح » . وآخر فيه « ملصق » . وثالث فيه « من غيركم » ،  
 لمعرفة نسب شخص شك في اصله . و قدح فيه « المياه » . فاذا  
 ارادوا ان يحفروا للماء ضربوا بالاقدح ، فاذا خرج هذا القدح  
 سعوا وراء الماء باحثين <sup>١</sup> .

وتم هذه العملية بدفع مائة درهم وجزور يعطونها صاحب  
 الاقدح الذي يضرب بها <sup>٢</sup> .

١ . وقد استقسمت بعض قریش بالأزلام عندما اعترض المسلمون عيرهم  
 في بدر ليقر رأيهم على الخروج أو البقاء . راجع المقرئ : امناع  
 الاسماع ج ١ ص ٦٧ .

٢ . راجع الاصنام ٢٧ - ٢٨ . الازرقى : اخبار مكة ج ١ ص ٦٨ .  
 يعتقد جرجي زيدان في « انساب العرب القدماء » ان لفظ هبل لا اشتقاق  
 له في العربية من معناه . ويرى انه عبراني أو فينيقي . اصله « هبعل » ومعنى  
 بعل السيد . ثم قال ان « الهاء » في العبري اداة التعريف مثل « ال »  
 العربية . فإضافة هذه الاداة الى بعل ، يريدون « الاله الاكبر » . اما العين  
 الزائدة فسهل اهلها بالتخفيف ، ثم ضاعها بالاستعمال ، وخصوصاً في لفظ بعل ،  
 لان الكلدانيين كانوا يلفظونه « بل » باهال العين ، وهو اسم هذا الاله  
 عندهم . وربما كان الموابيون يلفظونها « هبل » . وذهب اورت ودوزي الى ان  
 « بعل » الاسرائيلي هو « هبل » القرشي في مكة . وخلاصة ما يقوله نولدكه  
 ان بعل ليس عربياً ، بل اخذه العرب من جزيرة سيناء ، وعرفوه لفظاً  
 ومعنى . وقد ورد في القرآن « اتدعون بعلاً وتذرون احسن الخالقين . » فقال

ذو الخلصة : كانت مروة بيضاء منقوشة ، عليها كهنة  
التاج . وكانت بتبالة بين مكة واليمن على مسيرة سبع  
ليال من مكة ، سددتها بنو امامة من باهلة بن أعصر تعظمها  
وتهدي لها خشعهم وجميلة وأزد السراة ومن قاربهم من بطون  
العرب من هوازن . وتقول كتب التاريخ ان الذي نصبها  
هو عمرو بن نحي . فكان العرب يلبسونها القلائد ويهدون اليها  
الشعير والحنطة ويصبون عليها اللبن ، ويدبحون لها .

ولما فتح الرسول مكة واسلمت العرب ، ووفدت عليه  
وفودها ، قدم عليه جرير بن عبد الله مسلماً فقال له : يا جرير  
الا تكفيني ذا الخلصة ؟ فقال : بلى . فوجه اليها . فخرج حتى

« بعلاً » ولم يقل « هبلاً » . وفي هذا ما يدل على انه كان يسمى بعلاً عند  
بني اسرائيل . ويعتقد عبد المجيد خان ان هبلا كان اله الحصب في عقيدة  
العرب . وهو الاله الذي عناه عمرو بن لحي حينما قال : ان ربكم يصصف  
باللات لبرد الطائف ، ويشتم بالعزى لحر تهامة . راجع عبد المجيد خان  
الاساطير العربية في الجاهلية ، ص ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ .

١ حدث ان رجلاً من هوازن اتاها وكان ابوه قتل فاراد الطلب  
بثأره فاستقسم عندها بالازلام فخرج السهم بنها عن ذلك فقال :  
لو كنت يا ذا الخالص المؤثورا مثلي وكان شيخك المقبوراً  
لم تنه عن قتل العداة زورا

اتى بني أحس من بحيلة فسار بهم اليها فقاتلته خثعم وباهلة دونها . فقتل من سدننها من باهلة يومئذ مائة رجل ، واكثر القتل في خثعم ، وهدم بنيان ذي الخلصة واضرم فيه النار فاحترق .<sup>١</sup>

سعد : كان بساحل جدة ، وهو صخرة طويلة ، اقبل رجل من بني كنانة بابل له ليقفها عليه تبركاً به . فلما أدناها منه نفرت ، وكانت تُهراق عليه الدماء ، فذهبت في كل وجه وتفرقت عليه . فتناول حجراً فرماه به وقال : لا بارك الله فيك إلهاً ، أنزرت علي إيلي ، ثم خرج في طلبها حتى جمعها وانصرف عنه وهو يقول :  
أَتَيْنَا إِلَى سَعْدٍ لِيَجْمَعَ شَمْلُنَا فَنَسْتَبَا سَعْدٌ فَلَا نَحْنُ مِنْ سَعْدٍ  
وَهَلْ سَعْدٌ إِلَّا صَخْرَةٌ يَتَوَفَّى مِنَ الْأَرْضِ لَا يُدْعَى لَنِي وَلَا رُشْدٌ  
كان للعرب نوعان من الحجارة المؤهلة :

#### الشعائر الوثنية

المحمولة او المنقولة ، والحجارة الثابتة .

ويصطحبون في غزواتهم كاهناً وسادناً يخدم الاله وبعض العائفين والقائمين ، كي يرشدوا المحاربين بمعلوماتهم الغيبية قبل الرحيل وفي أثناء الطريق .

١ الاصنام ص ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦

٢ الاصنام ص ٣٦ ، ٣٧ .

لم يكن يتميز رجال الدين بأي مظهر من المظاهر الخارجية ،  
 فلا ثوب خاص لهم ، ولا رتبة ولا رسامة ولا اعداد للوصول الى  
 هذه الدرجة ، ولا فرق في اساليب العيش بينهم وبين ابناء القبيلة ،  
 ولا يتراجعون عن غزو ولا اهراق دم . يدعى الكاهن احياناً  
 بالحكم ، فيستشار قبل القيام بالغزوات والغارات او في الملمات .  
 ولا تنصب القبة على الحجر الا في الخطوب الكبرى ،  
 والمواقع التي يقرر فيها مصير القبيلة . وللقبة والجلل الحامل صفة  
 التقديس . قال الكميث :

وقد آلت قبائل لا تؤلي مناة ظهورها متحرفينا  
 كانوا يخلصون المرأة بالمركز الافضل في حياتهم الدينية ،  
 فيفوق عدد الساحرات والعرافات عدد العرافين . وفي مكة نفسها  
 كان مفتاح الكعبة في يد امرأة هي بنت حليل الخزاعي ، وسلمته  
 لقصي ، كما تقدم معنا .

يمكننا ان نتصور تلك الحفلات التي كانت تقام في  
 مكة مدة « العمرة » في شهر رجب : شوارع ضيقة مزدحمة  
 بالعابدين والمتفرجين ، مواكب متتابعة تطوف بحجارة الاحياء ،  
 جمال مترنحة تحمل القباب المتمايلة الفاقعة الالوان ، يقودها زعماء  
 القوم ، ويسير وراءها على الجمال ايضاً نساء من قريش ، وقد  
 حلان الشعور وضربن الدفوف والغرايل ، وصحن باصوات

الفرح والحفاة حتى يصل الجميع الى فناء الكعبة .  
 وكان لاهل مكة شعائر خاصة ، لا يشاركهم فيها سواهم  
 من عامة العرب . فقد تركوا الوقوف مع الناس على عرفة  
 والافاضة منها ، وابتدعوا لانفسهم البقاء في الحرم .  
 وكانوا يجرمون ايضاً على انفسهم الاستغلال بغير بيوت الادم  
 ما داموا محرمين . وحظروا على سواهم الاكل من غير طعام  
 الحرم . فمن جاء حاجاً او معتمراً ، وكان معه طعامه حرم عليه  
 الاكل منه . ولم يقتصر تحكيمهم بغيرهم على هذا ، بل تعداه  
 الى الثياب فنحوا الناس الطواف بالبيت اول ما يقدمون الا  
 بثياب الحمس اي قريش ، فان لم يجدوا منها شيئاً طافوا عراة . ومن  
 طاف بغير ثياب الحمس حرمت عليه بعد الطواف فيلقبها ، ولا  
 ينتفع بها . وهكذا استغلوا سداجة من حولهم من الاعراب  
 ليتفردوا بالحرمة والتقديس ، فيأمنوا بعدها على تجارتهم ،  
 ويستفيدوا من هذا التمويه ثراء وبسطة عيش . فلما جاء الاسلام  
 اسقط هذا جملة بقول الكتاب « ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ  
 النَّاسُ » .



لم يكن الجاهلي ليقصر في تفكيره على النسب  
بين الاجسام وتوافقها ، بل كان يعتقد ايضاً بان هناك

الجن

عالمًا غير منظور من المخلوقات والعوالم احس بوجودها بما كانت  
تصوره له مخيلته في صحرائه ، ولياليه القمرية المهدئة والاصوات  
الخفية التي تطرق اذنيه . فللعين سراب وللاذن سراب ، يسمعه  
كلاماً سوياً ومعنى خفياً ، فيخيل اليه انه ليس وحده بصاحب  
الصحراء او القرية او الواحة ، وانما هناك من يشاركه في اقتسام  
القليل من خيراتها . وهذا الكائن المزاحم لا يمكن وصفه بسهولة  
وانما عرف باسم الجن . يعود الاعتقاده في الحجاز الى اقدم العصور .  
فهو يرقى الى زحف القحطانية نحو الجنوب - اذا صح ان هناك  
قحطانية وعدنانية - وفي رأي الجاهلي ان الجن يطرون الى السماء  
ويلقون الملائكة ، ويتعلمون منهم ، ويقفون على اخبار السماء .  
وقد اقتسم هؤلاء نعم الوحي مع الحجازي ، عندما نزلت الرسالة ،  
فآمن نفر منهم وكانوا من اكثر المسلمين تقى وورعاً .

ان العربي الذي نزل القرآن في بيئته ما

الفكرة اللاهوتية

كان مجرداً من الشعور اللاهوتي . او

بكلام آخر لم يكن ليحصر تفكيره وجهده في البيئة الطبيعية

المحيطة به ، وان هو لم يتوصل الى التفكير بالمجردات العقلية  
والمعاني الخالصة من الجسمية . ولكن من الثابت لمن انعم النظر  
بنواحي تفكيره ان هذا العربي الحجازي المادي كانت تتنازع  
نفسه مشاغل لاهوتية متعددة .

لم يجرد العالم في ذاته وفي ما يقع عليه حسه من . المبصرات  
والمذوقات والمشومات والمسموعات والمحسوسات . ولم يكن عادة  
ليعيد المعلول الى علته المباشرة . وانما كان يراقب على مرور  
الاجيال وقوع الحادث ، فيرى ان هناك حوادث اخرى قليلة او  
كثيرة ترافقه في حدوثه ، فينسب اليها العملية في حين ان علاقتها  
به هي علاقة المرافقة والجوار او الاتفاق . فهو مثلاً اذا ابصر  
الافق قد اكفر ، وبدأت السحب سوداء ، ايقن انه لا بد من  
هطول المطر . اما اذا مال لون الغيوم الى الاحمرار او الاغبرار  
اعتقد ان المطر لن يعقبها ؛ وانها غيوم بدون ماء . ومن ذلك  
استنتج امرين : الاول ان سواد الغيم هو سبب المطر ، والثاني  
ان الاحمرار سبب انحباسه . في حين ان هاتين الصفتين مرافقتان  
 لعملية تألف الغيوم ، وليستا سببا لجودها بالماء او حبسه . وهذا  
الطور الذي مر فيه الحجازي قبيل الاسلام ، يتقدم بقليل طور  
الاختبار والتجربة التحليلية التي تؤدي غالباً الى اكتشاف السبب  
المباشر الحقيقي .

## المعارف الاولية

من المغالاة ان نقول ان الجاهليين ، ولا سيما الحجازيين ، كانوا يُعذّون بامر العلوم من نظرية وعملية . ومن المغالاة ايضاً ان نزعهم انهم كانوا ينظمون مدارسهم بشكل يسمح لاحداثهم ان يقتبسوا المبادئ العلمية ، او ان نقول انهم قد اهتموا الى السبل الحديثة من البحث والتحقيق العلميين ، لان حجازيي ذلك العهد كانوا ، كما تقدم معنا ، على نوعين : حضر لا يزيدون على ١٧ بالمائة من مجموع السكان . والباقيون متبدون ينصرفون الى حياة هي اقرب انواع المعيشة الى الحياة البدائية .

كانت جد بسيطة ، فيكتفي البدوي بقليل من اللبن وشيء من التمر . وهما العنصران اللذان يقوم عليهما كيانه الجسماني . ولا يتوصل الى بعض القمح الا الاسياد منهم وهم قليلون . وكان هؤلاء بحاجة ماسة الى الثياب والى السلاح ، فلا يكتفون بما ينتجون بل يجمعون ما يفيض من نتاج ماشيتهم ويصارفون به حاجاتهم من هذين الصنفين .

لم يكن لديهم طبعاً مدارس لتخريج  
الاطباء والعلماء . والبدوي قليلاً ما يصيبه

الطب الجاهلي

الداء ، لان صاحب الجسم النحيل لا يتخم ليمرض ، والبادية لا تبقي في قيد الحياة الا الاقوياء الاشداء ، الذين تساعدهم مناعة اجسامهم على مدافعة الامراض الطارئة .

غير ان الحضّر ولاسيما المترفين منهم ، على ما تميزوا به من لين في العيش ، كانوا احياناً باس الحاجة الى من يُعنى بامور صحتهم . فهم في تنقلاتهم من مكان الى آخر في رحلاتهم الموسمية وفي اتصالاتهم بالاجانب الوافدين الى اسواق الحجاز ، معرضون للامراض الكثيرة المنتشرة . لذلك كانوا يترددون على الاطباء ، ويتقيدون بمعالجاتهم ، وهؤلاء يعترفون بمهنتهم ، ويسرفون في اعتراذهم فيبدلون طبهم مقابل الكثير من المال ، ولا يرضون في المجتمع الا بالمكانة الفضلى والمقام الارفع . واغليبتهم من الاجانب ، وربما كانوا من النصارى واليهود الوافدين من اليمن او الشام . وكان العرب انفسهم يرسلون اولادهم الى فارس ، الى مدرسة جنديسابور . فيتخرجون هناك في مارستاناتها في العلوم الطبية النسطورية ، ويعودون الى بلادهم فيداوون المرضى ، ويجعلون لانفسهم مكانة سامية بين مواطنيهم .

لم تكن هذه المهنة منظمة ، فليس من شهادات قانونية ، ولا رقابة من الملاء واصحاب القوة ، وانما تقوم شهرة المطيب على ثقة المتطبيب به .

واشهر هؤلاء الاطباء الوطنيين الحارث بن كلدة<sup>١</sup> ، يمثل الطب الرسمي القائم على دراسات واختبارات رسمية في مؤسسة جنديسابور . غير ان هؤلاء الاطباء النظاميين يؤلفون عند العرب نفراً ضئيلاً قد لا يكون له شأن بالنسبة الى الاطباء الشعبيين ، وهم جماعة العامة التجريبيين الذين اخذوا عن اهلهم وجيرانهم الوصفات النافعة في بعض الحالات المرضية ، فيتناقلون معلوماتهم شفويّاً من جيل الى جيل ، ومن قبيلة الى قبيلة . يقوم علمهم على التجارب العامة ، وعلى الخرافات من شعوذات ورقى .

حفظ لنا الحديث وكتب التاريخ بعض هذه الوصفات الطبية منقولة عن لسان النبي ، والصحابة والاطباء انفسهم ، منها قول الرسول : « ان أمثل ما تداويتم به الحجامة والفضط البخري » وقوله : « الكفاة من ألنّ وماؤها شفاء للعين » وقوله « الشفاء في ثلاثة : شربة عسل ، وشرطة محجم ، وكية نار » وأنهى أمّتي عن

١ هو من بني ثقيف ، عرف باسم «طبيب العرب» . نشأ في الطائف ورحل الى ارض فارس . واخذ الطب عن اهل تلك البلاد ، ولاسيما من مدارس جنديسابور . وجاد في هذه الصناعة ، واحترف المهنة بارض فارس . فجمع مالا كثيراً وذاع اسمه . وقد ادرك الحارث الاسلام . وكان الرسول يأمر من به علة ان يأتيه ، فيسأله عن علته . مات اول الاسلام . ولم يثبت اسلامه ( القفطي : كتاب اخبار العلماء باخبار الحكماء ص ١٢٢ ) .

٢ مائة تعتقد على بعض الاشجار عسلاً وتجف جفاف الصنع .

## الكي<sup>١</sup> .

ويحرق الحصير يلتدم به مجرى الدم<sup>٢</sup> ، ويستعملون الماء في  
الحميات<sup>٣</sup> ، ويدأوون بعض الامراض بالبان الابل واحياناً  
بابواها<sup>٤</sup> ، وتستعمل التليينة<sup>٥</sup> للمريض والمحزون على الهالك<sup>٦</sup> ، فهي  
تجم فؤاد المريض وتذهب ببعض الحزن ، وتقول عنها عائشة  
« البغيض النافع<sup>٧</sup> » .

١ صحيح البخاري ج ٧ ص ١٥٩ ، ١٦٤ ، ١٦٧ . اتى رجل النبي فقال :  
اخي يشتكي بطنه . فقال : اسقه عسلاً ، ثم اتى الثانية فقال : اسقه عسلاً ،  
ثم أتاه الثالثة فقال : اسقه عسلاً . فقال : فعلت . فقال : صدق الله وكذب  
بطن اخيك ، اسقه عسلاً ، فسقاه فبرأ . ( صحيح البخاري ج ٧ ص ١٥٩ ) .  
٢ لما كسرت على رأس الرسول البيضة في أحد وأذني وجهه ، وكسرت  
رباعيته<sup>٣</sup> ، وكان علي<sup>٤</sup> يختلف بالماء على الجن ، جاءت فاطمة تغسل عن  
وجهه الدم ، فلما رأت الدم يزيد على الماء كثرة ، عمدت الى حصيرة  
فاحرقتها والصقتها على جرح الرسول فَرََقاً الدم .

٣ قال النبي : الحُمى من فَيْح جهنم فأبردوها بالماء .

٤ حدث بعضهم أن ناساً اجتروا في المدينة ، فأمرهم النبي أن يلحقوا  
بابله فيشربوا من البانها وابواها ، فلحقوا براعيها ، فشربوا من البانها وابواها  
حتى صلعت ابدانهم ، فقتلوا الراعي وساقوا الابل ، فبلغ النبي الخبر فبعث  
في طلبهم فجاء بهم ، فقطع ايديهم وارجلهم وسَمَرَ اعينهم ( صحيح البخاري  
ج ٧ ص ١٦٠ ) .

٥ التليينة حساء او طعام من نخالة ولبن وعسل .

٦ صحيح البخاري ج ٧ ص ١٦١ .

## الأنواء

كان اتساع الصحارى ، وانتجاع الاماكن  
 المرعة ، وترقب الفيوث لارواء غليل الانسان  
 والحيوان ، وانتهاز الايام الموافقة لانتقال الماشية عند البدو او  
 لنقل التجارة عند الحضر ، كان كل ذلك من الاسباب الاساسية  
 التي جعلت العربي ساكن الخيمة وقاطن القرية ، ينظر الى القبة  
 الزرقاء ، ويلاحظ انتقال الشمس من المشرق الى المغرب ،  
 وارتفاعها في ايام الصيف فوق الرؤوس وانخفاضها في الشتاء الى  
 الافق . ويلاحظ القمر والكمال الذي يصير اليه في النصف الاول  
 من عمره ، والنقص الذي يعتريه بعد التمام الى ان يتلاشى شيئاً  
 فشيئاً . عرفوا بذلك الشهور التي يقدرّون بها اعمارهم ، ويحددون  
 بها اعمالهم ، فوضعوا لكل مرحلة من مراحل الشمس اسماً ،  
 وجعلوا من تمام القمر ونقصانه علماً ، واصبحوا يدركون ان انتقال  
 الشمس من مكان الى آخر في السماء يؤثر في برودة الهواء  
 وسخونته ، وفي سقوط الغيث وانحباسه ، فقسموا السنة الى  
 اقسام هي ما ندعوه الان فصولاً ، ودفعهم الى تلك الملاحظات  
 الجوية حاجاتهم الى تفهم البيئة الطبيعية التي يعيشون فيها ، لكي  
 يأمنوا غوائلها وتقلباتها المفاجئة . فقد يصفو الجو ويطمئن  
 الخاطر ، فتسرح الماشية ويتبعها الرعاة ، وتخرج القوافل غير حاسبة  
 للطبيعة حساباً ، فاذا بالجو يكفر واذا بالفيوث تتساقط .

وقد تسكن الامطار وتشرق الشمس ، فتجفف الرمال وتهب الرياح ، فتحملها وتمطر بها المواشي والقوافل والرعاة والمسافرين .  
 وقف الجاهلي ذهنه على فهم هذه التقلبات الجوية ، لعله يتوصل الى اكتشاف بعض قوانين عامة تساعد على محاربة الطبيعة النائرة الجبارة . فدرس خصائص كل ربح وجعل لكل واحدة منها اسماً ، وميز بين مختلف الغيوم والبروق والرياح . وهناك مئات القصص التي يتندر بها العرب ، ليظهروا مقدرة الجاهلي في معرفة احوال الطبيعة . ولم تقتصر هذه المعرفة العملية على اناس معدودين ، كما اقتضت النظريات الطبيعية على افراد معينين في البلاد الاغريقية ، وانما انتقلت الى كل فرد من الافراد يتناقلونها وراثه ، ويذكرونها في شعرهم ونثرهم .

يسائل الجاهلي الطير في امر مصيره ، هذا المصير الزمير  
 المجهول الذي قد يؤدي به الى النجاة او الهلكة ،

الى الحياة او الموت ، الى النجاح في اعماله او الى الاخفاق  
 فالخراب . كان دائماً يتطلع الى غده ، الى الامام ، لعله يثر على  
 قبس من نور يستضي به في طريقه ، فيلتجى الى الكهان ،  
 يستنطقهم بما تحبسه له الايام في طبائتها من المفاجآت لاسيما وان  
 هؤلاء كانوا يشيعون ، ويؤثر عنهم بين العامة ، ان لهم اتباعاً من  
 الشياطين ، يسترقون السمع ، ويأتون بالاخبار الحاضرة والمقبلة ،



فيلقونها لمن يتبعهم ، ويسألهم عن خفيات الامور .

ويعتقد ان في تصرف هذه الطيور الضاربة في قلب الاجواء  
سراً . فاتجاهها شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً ، ونزولها على شجرة  
او صخرة ، وتعفرها في التراب ، ونعيقها ، ومختلف اصواتها ،  
وحركاتها ، كل هذه لها معان خفية اودعتها قوة غير منظورة  
لتأويل اعمال الانسان وتفسيرها . ويستنطق الغراب بنوع خاص

١ من ذلك ما حكى ان امية بن ابي الصلت الثقفي بينا هو يشرب  
مع اخوان له في قصر عيلان بالطائف اذ سقط غراب على شرفة القصر ،  
فنعب نعبه فقال امية : بفيك الكئسك اي التراب . فقال له اصحابه : ما  
يقول ؟ قال : يقول انك اذا شربت الكأس التي بيدك مُت . ثم نعب  
نعبه اخرى ، فقال امية كفقائه الاولى . فقال اصحابه : ما يقول ؟ قال :  
يُزعم أنه يقع على هذه المذيلة في اسفل القصر فيستثير عظمًا فيبتلعه فيشجى به  
فيموت . فوقع الغراب على المذيلة ، فانثار العظم وابتنمه فشجى فمات .  
فانكر امية الامر ، ووضع الكأس من يده ، وتغير لونه ، فقال اصحابه :  
ما اكثر ما سمعنا مثل هذا وكان باطلاً ، والحوا عليه حتى شرب الكأس ،  
فانغمي عليه ، ثم افاق فقال : لا بريء فاعتذر ، ولا قوي فانتصر ، ثم  
خرجت نفسه .

وزعموا ان رجلاً من كعب خرج في جماعة ومعه سقاء من لبن ، فسار  
صدر يومه ، فعطش فاناخ ليشرب ، فاذا غراب ينعب ، فانثار راحلته ثم  
سار ، فلما اظهر اناخ ليشرب ، فنعب الغراب وتفرغ في التراب ، فضرب  
الرجل السقاء بسيفه ، فاذا فيه اسود ضخم فقتله . ثم سار فاذا غراب واقع  
على سدة ، فصاح به فوقع على سلمة ، فصاح به فوقع على صخرة ،

فاذا خرج الجاهلي من منزله يطلب حاجة او يخطب امرأة فنعب غراب عن يمينه او عن يساره ، او سنح او برح يمضي ، فانه مدرك حاجته ، فان نعب امامه او فوقه يرجع ففيها تأخير . وان خرج يريد خصومة فنعب فوق رأسه يمضي لانه مدرك حاجته . فان خرج يطلب دابة فنعب عن يمينه او يساره على حائط مرتفع يمضي لحاجته ، فان نعب امامه يرجع . وان خرج يطلب مالا ضل عنه او سُرق ، فنعب غراب على شجرة يابسة فلا يطلبه ، فقد استهلك ، وقد يأتيه بعضه . فان نعب على جدار جديد ، او شجرة خضراء ، فانه يصيب ماله . وان خرج يعود مريضاً ، فنهق حمار عن يمينه او عن يساره ، فالمرضى صالح . وان نهق خلفه ، فقد اشتد بالمرضى مرضه . وان خرج من منزله فاستقبلته جنازة وجماعة ، يرجع يومه ذاك ، ولا يعود

فانتهى اليها فاثار كنزاً . فلما رجع الى ابيه قال له : ايه ما صنعت ؟ قال : سرت صدر يومي ، ثم انخت لاشرب فنعب الغراب . قال ائرها ، والا فلست بابني . قال ائرها ، ثم انخت لاشرب فنعب الغراب وتمرغ في التراب . قال اضرب السقاء ، والا فلست بابني . قال فعلت ، فاذا اسود ضخم . قال ثم مه ؟ قال : ثم رأيت غراباً على سدة ، قال أطره ، والا فلست بابني . قال فعلت ، فوقع على صخرة . قال احذر يا بني ، فاحداه . ( النويري : نهاية الارب ج ٣ ، ص ١٣٩ - ١٤٠ ) .

لحاجته ، فانها غير مقضية . وان رأى جوارى يلعبن بالطرق كأنهن  
 يزففن عروساً ، فهو خير وسرور ، ودخول في امر شريف ، وانه  
 يربح ربحاً عظيماً ، وهو خير الزجر ' .

## أهم مصادر الفصل

القرآن

بخاري

الصحيح ٩ اجزاء ، مصر ١٣٤٥ هـ .

ابن زريق

اخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، جزآن ، مكة ١٣٥٢ هـ

ابن السكيت

كتاب الاصنام ، القاهرة ١٩٢٤ .

المقريزي

امتناع الاسماع ، الجزء الاول ، مصر ١٩٤١ .

جبري زهران : كتاب العرب قبل الاسلام ج ١ ، مصر ١٩٠٨ .

**Lammens** : L'Arabie Occidentale avant l'hégire, Beyrouth 1928.

» : La cité de Taïf à la veille de l'hégire, Beyrouth 1922.

» : La Mecque à la veille de l'hégire, Beyrouth 1924.

**Massé** : L'Islam , Paris 1940.